***بحوث في اللغة العربية وآدابها***: نصف سنوية لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان
العدد ١ (خريف وشتاء ١٤٣٠-١٤٣١ هـ. ق/ ١٣٨٨ هـ. ش)، ص ٧ - ٢٠

# معنى باطن القرآن[١]

حميد أحمديان*

**الملخص:**

**هذا المقال يبحث عن حقيقة باطن القرآن ومعناه. فالباطن يستخدم في معانٍ مختلفة نتعرّض لأشهرها مصحوبةً بالشواهد فيما يلي:**

**الأول: المعنى الباطني الذي يستخرجه المفسر من سبب الحكم، ثم يقوم بتعميمه على ما يشابهه، ثم يشفعه بالدليل. هذا النوع يُستخرج من ظاهر اللفظ ومعناه، فلهذا لم أجد من يخالفه من العلماء.**

**النوع الثاني: ما يُفهم من لازم المعنى؛ وهذا النوع لا صلة له بظاهر اللفظ، ولكن يقوم عليه دليل عقلي؛ فلهذا وافق عليه العلماء ولم يتنازعوا فيه.**

**والنوع الثالث: هو تطبيق الآية على أحد مصاديقها، وهذا النوع يعرف بالجري.**

**والرابع: هو إلصاق الآية ـ إن صحّ التعبير ـ بمن وبما يهواه المفسّر.**

**والنوعان الثالث والرابع لا يستندان إلى اللفظ وظواهر الآيات، وكثيراً ما خلط بعض العلماء بينهما. فبيّنت أولاً الفرق بينهما، ثم أثبتُّ بأمثلة متعدّدة من تفاسير الشيعة والسنة أنّ النوع الثالث تبنّاه علماء الفريقين قديماً وحديثاً، أمّا المخالفون فلا دليل لهم في مخالفتهم كما شرحناه مفصّلاً، أمّا النوع الرابع اعتبرناه تلاعباً بكلام الله، مما لا يجوز الأخذ به.**

**وفي الخاتمة أقول: استشهدت لجميع البحوث بتفاسير الفريقين من الشيعة والسنة حتى يجري الكلام على حيادية ونزاهة.**

**والقارئ لهذه السطور يرى بوضوح أني تجنّبت الانحياز لمذهب على مذهب.**

**أسأل الله الغفران فيما أخطأت أو أصبت في فهم كتابه العزيز، وجعل ثواب ما كتبت في ميزان المؤمنين، وجعلنا منهم.**

**المفردات الرئيسية: القرآن، الباطن، الظاهر، الألفاظ.**

---

١. تاريخ التسلم: ١٣٨٥/١٢/٢٨ هـ. ش (٢٠٠٧/٣/١٩م)؛ تاريخ القبول: ١٣٨٦/٨/١ هـ. ش (٢٠٠٧/١٠/٢٣م).

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان

**المقدمة**

أرسل الله محمداً والجزيرة العربية تعجّ بالنعرات الطائفية والصراعات القبلية والحروب الجاهلية، بل الدنيا بأجمعها ؛ كما يقول أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصفها: «**كاسفةُ النورِ، ظاهرةُ الغرورِ... ثمرُها الفتنةُ، وطعامُها الجيفةُ، وشعارُها الخوفُ، ودِثارُها السّيفُ**» (*نهج البلاغة*، ١٣٦٥هـ ش، ص ١٢٢)، حتى شاء الله أن يغيّر مسار الإنسانية، ويُخرج العالمين من الظلام الداجن، والمستنقع الآسن، ويسمو بهم إلى عالم الروح، ويتّجه بهم إلى الخالق الواحد الأحد الفرد الصمد، فوقعت مشيئته جل جلاله ـ كما شاء ـ مبتدئاً من الأعراب. فحوّل كلّاً من هؤلاء ـ في ظلال القرآن وبفضل هدايته ـ إلى مؤمن لا يلوذ بقبيلة إلا الله، ولا ينصر عشيرة إلا الحق، ولا يجيب دعوةً إلا الخير. فما حدثت تلك النقلة الأخلاقية والمعرفية لدى الصحابة إلا بالقرآن الكريم. فهم عرفوا كيف يعيشون مع القرآن، ويتظللون بظلاله، ويحسنون فهمه، ويتفقّهون مقاصده. فهؤلاء أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وآله ومَن حذا حذوهم، وتبعهم بإحسانٍ، حتى خلف من بعدهم خلْفٌ أضاعوا القرآن، وأساؤوا فهمه، والتعامل معه.

ونحن المسلمين اليوم أتباع ذلك الخلْف التائه، نضرب في الأرض حيارى بلا دليل. والعجب أن القرآن ـ كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام ـ : «**بين أظهُركم، ناطقٌ لا يَعيا لسانُه، وبيتٌ لا تُهدَمُ أركانُه، وعزٌّ لا تُهزَمُ أعوانُه**» (السابق، ص ١٩١).

وابتعاد الأمة الإسلامية عن كتاب الله نتيجةٌ وليس بسبب. فالأسباب كثيرة كادت لا تحصى ولا تنحصر. ومن تلك الأسباب تصعيب القرآن من قِبل البعض بحجج واهية، بعضها باطل، وبعضها حقّ أريد بها باطل، وبعضها حقّ أريد بها حقّ، ولكن أنتجت باطلاً.

فمن هذه الحجج الواهية: إنّ القرآن لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم ؛ ومنها: إن القرآن حمّال ذو وجوه ؛ ومنها: إن للقرآن بطناً إلى سبعين بطناً.

فكل هذه الأقوال حقّ استنتجوا منها الباطل، حتى جعلوا كتاب الله المبين البيّن التبيان الهادي الفرقان، جعلوه رموزاً وطلاسمَ لا يُفلح بمرادها أحدٌ حتى الأجنّة، وملائكة الله المقربين!

ونعوذ بربِّ القرآن من هذا الفهم السيّء لكتابه! فما أدري ماذا يفعل هؤلاء بقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ❖ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ (القمر ٥٤: ١٧)، وبقوله: ﴿**فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرونَ**﴾ (الدخان ٤٤: ٥٨).

فما أنزل الله القرآن وما يسّره إلا لنتدبّر آياته ونتذكّر ؛ فإنه ﴿**كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّروا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبابِ**﴾ (ص ٣٨: ٢٩).

ونحن في هذا المقال نريد الكشف عن حقيقة، ألا وهي: إنّ للقرآن بطناً، لكنّ هذا لا يُخرجه أن يكون كتاباً كسائر الكتب ؛ فهو منزَّل بلغة عربية شأنها شأن سائر اللغات. فمن عرفها وألمّ بقواعدها، يعرف القرآن. والمعتمَد على هذا ظاهر القرآن وظاهر الألفاظ ؛ لأنها هي الحجة علينا وعلى جميع المسلمين، كما يقول علماء الأصول (المظفّر، ١٤٢٢هـ، ص ٣٩٦).

> **وليس بين آيات القرآن ـ وهي بضع (كذا، والصحيح: بضعة) آلاف آية ـ آية واحدة ذات إغلاق وتعقيد في مفهومها، بحيث يتحير الذهن في فهم معناها، وكيف؟! وهو أفصح الكلام، ومن شرط الفصاحة خلوّ الكلام عن الإغلاق والتعقيد، حتى أن الآيات المعدودة من متشابه القرآن ـ كالآيات المنسوخة وغيرها ـ في غاية الوضوح من جهة المفهوم، وإنّما التشابه في المراد منها، وهو ظاهر** (الطباطبائي، آ ١٤٢١هـ، ص ٩).

وهذا الوضوح لا يخالف كون القرآن له بطن أو باطن، بل من أهداف التدبر في القرآن كشف هذه المعاني الباطنية، كما سيأتي بيانه مفصلاً مستعيناً بالله العلى العظيم.

**حديث البطن**

نقل الرواة حديثاً عن رسول الله ﷺ: «**إنّ للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن**».

ويمكن أن يدرسَ هذا الحديث من جوانب مختلفة؛ منها:

١- صحة نسبة هذا الحديث إلى رسول الله أم عدم صحته؛

٢- معنى الباطن في هذا الحديث؛

٣- هل المعاني الباطنية تستخرج من الألفاظ ومدلولاتها أم هى معان لا تحيط بها الألفاظ؟

٤- مدى صحة ما نقل عن الأئمة عليهم السلام في التفسير الباطني.

ولا يستوعب هذا المقال دراسة جميع ما ذُكر، بل ما نستهدفه نحن هنا ـ كما أسلفنا ـ هو معنى الباطن للقرآن الكريم. أمّا صحة نسبة هذا الحديث، فلا يجوز فيها النقاش بعد ما ثبتت صحته عند أكثر علماء السنة، وجميع علماء الشيعة، بل كاد المعاصرون من الفريقين يُجمعون على صحته. على سبيل المثال، إنّ الذهبي على الرغم من مخالفته لتفاسير الشيعة الباطنية ـ على ما يعتقد ـ لايناقش في صحة هذا الحديث، بل يُثبته ويُقره حيث يقول:

> **يقول الإمامية الاثنا عشري: إنّ القرآن له ظاهر وباطن. وهو حقيقة نقرّهم عليها، ولا نعارضهم فيها بعد ما صحّ لدينا من الأحاديث التى تقرّر هذا المبدإ في التفسير. غاية الأمر أن هؤلاء الإمامية لم يقفوا عند هذا الحد، بل تجاوزوا إلى القول بأنّ للقرآن سبعة وسبعين بطناً، ولم يقتصروا على ذلك، بل تمادَوا، وادّعَوا أن الله تعالى جعل ظاهر القرآن في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والرسالة، وجعل باطنه في الدعوة إلى الإمامة والولاية وما يتعلّق بهما** (الذهبي، ١٤٢٥هـ، ص ٢١).

إذن، لا يخالف الذهبي وجود الباطن للقرآن، بل ما خالفه هو نوعية الفهم الباطني.

ومثله محمد جمال الدين القاسمى ـ من مفسري السنة المعاصرين ـ فإنه لم يناقش في صحة الحديث كثيراً، بل أخذ يركّز على معنى الباطن فيه، فقال باختصار: «**وما استُدل به إنّما غايته ـ إذا صحّ سنده ـ أن ينتظم في سلك المراسيل. وإذا تقرّر هذا، فليرجع إلى بيانهما على التفسير المذكور بحول الله**» (القاسمي، ١٤١٥هـ، ص ٤٢).

ومراده من التفسير المذكور، ما ذكره من المعاني الباطنية لبعض الآيات في الصفحات الماضية من تفسيره، اعترافاً منه لوجود الباطن في القرآن.

**ما هو المراد من باطن القرآن؟**

من تصفّح كتب العلماء والمفسّرين، يرى أنهم استخدموا الباطن في معان مختلفة، ولهم في استخراجه طرق متعدّدة، وإن لم تأت مبوّبة على نحو ما فصّلناها، وبوّبناها في هذا المقال.

فنذكر هنا أشهَرَها، ثم نناقش آراء العلماء في هذه المناهج في استخراج الباطن، ونحاول أن نُكثر من الأمثلة في كلّ منها حتى لاتكون مجرد تعاريف مبهمة لايُعرف المراد منها:

**النوع الأول: فهم الباطن من سبب الحكم وعلته**

من معاني الباطن المشهورة بين المفسرين استخراج معانٍ متعددّة من الآية، كلٌّ منها أكثر عمقاً من الأول، وهذه المعاني تفهم إذا فُهم سبب الحكم وعلته. والمفسّر يعمّم الحكم على الأمور المشابهة له مشفوعةً بالدليل، وألفاظ الآية ومداليلها لا تخالف هذا الفهم الباطني، بل توافقه وتساعد على استخراجه. وهذه المعاني الباطنية بعضها أعمق من بعض. فكلما أمعن المفسر النظر في الآيات، استخرج معاني باطنيةً أعمق وأدقّ؛ ونذكر لهذا النوع أربعة أمثلة:

المثال الأول: قال العلاّمة الطباطبائي رحمه الله في تفسيره للآية الكريمة: ﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكوا بِهِ شَيْئاً**﴾ (النساء ٤: ٣٦):

> **الظاهر أنّ المراد من هذا الكلام النهي من عبادة الأصنام المتداولة بين العرب، ولكن بالتدبر والتحليل نعرف أنّ عبادة الأصنام حُرّمت ومُنعت لأنّها خضوع لغير الله، ولم يختص هذا بعبادة الأصنام؛ كما اعتبر ـ سبحانه ـ إطاعة الشيطان عبادةً، فقال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنى آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ﴾ (يس ٣٦: ٦٠)؛ وبتحليل آخر، نعرف أنّه لا فرق بين إطاعة الإنسان لنفسه أو لغيره، فكما لا يجوز لإنسانٍ إطاعة الغير، كذلك لا يجوز له أن يطيع ويتّبع هوى نفسه؛ كما قال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ﴾ (الجاثية ٤٥: ٢٣). وبتحليل أدقّ، نعرف أنّه لا يجوز الغفلة من الله، والالتفات لغيره؛ لأن الالتفات لغير الله يعتبر خضوعاً لذلك الغير.**
>
> **ومثل هذا الخضوع هو روح العبادة؛ كما يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثيراً مِنَ الْجنِّ وَالْإِنْسِ...﴾ إلى أن قال: ﴿أُولئِكَ هُمُ الْغافِلونَ﴾ (الأعراف ٧: ١٧٩).**
>
> **فهذا التدرّج في فهم المعاني ـ أي: ظهور المعنى البدائي للآية، ثم ظهور معنى أوسع منه، ثمّ ظهور معنًى تحت هذا المعنى ـ جارٍ في جميع آيات القرآن، وهذا معنى الحديث المأثور عن الرسول صلى الله عليه وآله: «إنّ للقرآن ظهراً وبطناً...** (الطباطبائي، آ ١٤٢١هـ، ص ٢٧ـ ٢٨).

فالعلاّمة الطباطبائي رحمه الله عندما عرف أنّ سبب النهي عن عبادة الأصنام هو الخضوع لغير الله، وهذا الخضوع موجودٌ في إطاعة الشيطان، وفي إطاعة الآخرين، وفي إطاعة النفس، عمّم هذا الحكم عليها، ثم توصّل إلى هذه المعاني الباطنية.

المثال الثاني: سُئل الإمام الباقر عليه السلام عن معنى قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النّاسَ جَميعاً**﴾ (المائدة ٥: ٣٢)، قال عليه السلام: «**[من أحياها** (أي: أحيا النفس)**]** مِن حَرقٍ أوغرقٍ». قال السائل: «**أوَ ليس المعنى: مَن أخرجها مِن ضلال إلى هدًى؟**» فقال الإمام الباقر عليه السلام: «**ذاك تأويلها الأعظم**» (المجلسي، ب ١٩٨٣م، ص ٤٠٣).

وهذا التأويل الباطني مرجعه سبب الحكم وعلته. فإذا خلّص الانسان نفساً من الموت، فكأنه أحيا الناس جميعاً، فكذلك من يهدي نفساً، ويخرجها من الضلال إلى الظلمات، ويخلّصها من نار جهنم، فكأنه أحياها.

وهذه القاعدة العامة ممكن أن نطبّقها على كل أمر ينتهي إلى إحياء النفوس. على سبيل المثال، إذا علّمنا إنساناً كيف يستخدم السلاح للدفاع عن نفسه أمام عدو قاتل، فكأنما أحييناه؛ وهذا الفهم نوع من أنواع الفهم الباطني للآية.

المثال الثالث: قال القاسمي في تفسيره للآية الكريمة ـ نقلاً عن الشاطبي ـ: ﴿**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكينَ حَيْثُ وَجَدْتُموهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَخَلّوا سَبيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفورٌ رَحيمٌ**﴾ (التوبة ٩: ٥):

> **إنّ المنافق لا يعرف من هذه الآية إلا الظاهر، فيقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة ليحفظ مالَه، وليُخلّيَ عن سبيله، ولكن المسلم المؤمن يعرف أن السبب والعلّة من تشريع العبادات وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هو الشكر على نِعم الله؛ كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرونَ﴾ (النحل ١٤: ٧٨)، فيقيم المؤمن الصلاة خضوعاً لله، وشكراً لما أنعم الله به عليه؛**

**لأنّه عرف باطن كلام الله. أمّا المنافق، فيقيم الصلاة للحصول على حطام الدنيا؛ لأنّه توقف على الظواهر، ولم يعرف سبب الحكم، ومن ثمّ لم يدرك الباطن من معنى الآية الكريمة** (القاسمي، ١٤١٥هـ، ص ٤٦).

المثال الرابع: عندما نزلت الآية الكريمة: ﴿**مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثيرةً**﴾ (البقرة ٢: ٢٤٥)، قالت اليهود ـ آخذين بالظاهر ـ: إنّ الله فقيرٌ؛ لأنه استقرضنا، لكنّ مؤمناً يُدعى أبا الدرداح، عندما سمع الآية ترك حديقة له فيها ستّمئة نخلة للفقراء وقال: «أقرضتُ ربّي هذه الحديقةَ». فاليهود فهمت الظاهر، لكنّ أبا الدرداح فهم الباطن المرادَ من الآية؛ لأنه عرف السبب في هذا الحكم، كما عرف أن الله غني ونحن الفقراء (القاسمي، ١٤١٥هـ، ص٤٥ ـ ٤٦).

يُذكر أننا في المثال الرابع نقلنا معنى ومفهوم ما نقله القاسمي، ولم ننقل النص بعينه.

**النتائج:**

١- هذا النوع من الفهم الباطني يستند إلى اللفظ ومداليل الآيات مشفوعاً بالدليل؛

٢- اتفق عليه الشيعة والسنة؛

٣- هذا الفهم جارٍ في جميع الآيات، المحكمات منها والمتشابهات، وما نستثني آية إلا حروف المقطعة في أوائل السور؛

٤- أظن أن قول النبي: «**إنّ للقرآن ظهراً وبطناً**» ينطبق على هذا النوع من الباطن أكثر من غيره؛

٥- كل مفسّر عرف أصول التفسير يجوز له استخراج هذه المعاني الباطنية. إذن لاينحصر فهمه بفئةٍ دون فئة.

**رأي علماء الفريقين فيه:**

بما أنّ هذا التفسير لا يخالف ظواهر الآيات، ويستند على آيات أخر، ويكون معتمداً على الدليل، فما رأيت من العلماء من يخالفه، بل حتى المتشدّدين من أهل السنة أقرّوه.

على سبيل المثال، الدكتور فهد على الرغم من تشدّده على التفسير الباطني، قال بعد ما ذكر المعاني الباطنية التي ذكرها العلاّمة الطباطبائي لقوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**﴾ (النساء ٤: ٣٦) قال:

«**هذا الذي ذكره الطباطبائي هنا مثالاً للتفسير الباطني، تجده يستند إلى آيات أخرى في بيان الآية الأولى، إضافةً إلى هذا؛ فإن هذا التفسير تربطه بالآية روابط قوية من حيث المعنى في الآيات جميعاً، ومن حيث العموم والخصوص**» (فهد بن عبدالرحمن، ١٤٢٣هـ، ص٢٢٠).

**النوع الثاني: فهم الباطن من لازم الآية**

من الباطن ما يستخرج من لازم الآيات غير مستند على الظاهر، ولا مأخوذ من مداليلها، بل يعرف المعنى الباطني من لازم الآية؛ وعليك بالأمثلة ليستبين المراد:

المثال الأول: قال مقاتل: لَمّا نزلت ﴿**إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ...**﴾ (النصر ١١٠: ١ـ٥)، قرأها النبي ﷺ على أصحابه. ففرحوا واستبشروا، وسمعها العباس فبكى. فقال النبي ﷺ: «ما يُبكيك يا عمِّ؟» فقال: «أظنّ أنه قد نعيت إليك نفسك يا رسول الله». فقال: «إنه لَكَما تقول» (الطبرسي، ١٤٠٦هـ، ص ٨٤٤).

فكيف عرف العباس هذا المعنى الباطني وليس في ظاهر الآية ما يدلّ على نهاية عمر الرسول؟ دخول الناس في دين الله أفواجاً، وطلب الاستغفار الكثير من النبي ﷺ دليل على أنّه حان وقت الرحيل.

المثال الثاني: عندما نزل قوله تعالى: ﴿**اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ**﴾ (المائدة ٥: ٥)، فرح الصحابة وبكى عمر، وقال: ما بعد الكمال إلا النقصان؛ وعرف أنّه نهاية عمر الرسول ﷺ (القاسمي، ١٤١٥، ص ٤٣).

كيف عرف عمر هذا المعنى الباطني؟ انتقل من ملزومها إلى لازمها؛ لأنّه كما قال: ما بعد الكمال إلا النقصان.

**النتائج:**

١- هذا الباطن لايستخرج من الألفاظ ومداليلها، ولا يدل عليه ظاهرها، بل هو من لازم الألفاظ، ويُفهم بحكم العقل أو العادة؛ كما يقول قائلٌ: إن اليوم باردٌ تتساقط فيه الثلوج، فيفهم الآخر أنّ الشوارع اليوم غير مزدحمة. فهذا الفهم غير مستند إلى اللفظ، بل هو من لازمه؛

٢- لم أر من العلماء مَن تطرّق إلى ردّ هذا النوع، وأمثلة الفريقين تدلّ على الموافقة.

وبعد كتابتي لهذه السطور عثرت على نظرية للعلاّمة الآخوند الخراساني نقلها محمد الحسيني في تحليله لآراء السيد محمدحسين فضل الله التفسيرية تدل على أن الآخوند ﷺ اعتبر هذا النوع قسماً من التفسير الباطني فقال: «**أن يكون البطن من لوازم المعنى المستعمل فيه اللفظُ، فلا يكون مستعملاً فيها، وإن كان يدل عليها بالدلالة الالتزامية؛ نظير كون مجيء زيد ملازماً عادة لنزول البركات**» (الحسيني، ١٤٢٥هـ، ص٨١).

نقل الحسيني نظرية الآخوند مجردّة من المثال، وما أدري هل ذكر الآخوند مثالاً لهذا النوع أم لا، ولكن الأمثلة التي ذكرناها تدل على المراد.

**النوع الثالث: ذكر مصاديق الآية (الجري)**

قبل بيان معنى الجري، علينا ان نعرف المراد من شأن النزول: فالمراد من شأن النزول الظروف والملابسات التي استدعت نزول آية أو آيات أوسورة. على سبيل المثال، عندما نام على بن ابى طالب ﷺ في فراش رسول الله ﷺ في ليلة المبيت، نزلت هذه الآية الكريمة بهذه المناسبة (بناءً على إحدى الروايات): ﴿**وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْري نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ**﴾ (البقرة ٢: ٢٠٧).

فهذا شأن النزول، ولكنّ الآية قابلة للانطباق على كل من يشري نفسه لله، ومن الممكن أن نطبّقها على كل مؤمن في زماننا، فهذا التطبيق يسمّى بالجري. ويعتقد المفسرون أنّه لا يجوز حصر الآية بما وبمن نزلت؛ لأنّه في هذه الحالة تموت الآية بموت من نزلت به، وتذهب مع ذَهاب تلك المناسبة التي نزلت بها الآية، والقرآن الكريم حي لايموت، بل يجري مع الزمن، فلهذا يجب أن نبحث عن مصاديق جديدة لآيات القرآن، كما فعل مَن كان قبلنا وسيفعل من يأتى بعدنا.

إذن، الجري لغةً بمعنى الجريان؛ كما تقول: جَرَى الماءُ جَرْياً وجرياناً، وفي الاصطلاح بمعنى تطبيق الآية على مصاديق جديدة، وهذا معنى قول العلماء: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

أمثلة هذا النوع كثيرة نذكر بعضها:

١- ﴿**اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقيمَ**﴾ (الفاتحة ١: ٦)؛ المراد من الصراط المستقيم أميرالمؤمنين على بن أبي طالب ﷺ (العياشي، ١٣٨٠هـ، ص ٢٤).

٢- ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللهِ أمْواتاً بَلْ أحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقونَ﴾ (آل عمران ٣: ١٦٩): هم شيعتنا (الطباطبائي نقلاً عن العياشي ، ب ١٤٢١هـ، ص ٧١).

٣- ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ (النساء ٤: ٨٣)؛ فضل الله: رسولُه، ورحمته: ولاية الأئمة عليهم السلام (العياشي، ١٣٨٠هـ، ص ٢٦٠).

٤- ﴿يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنوا اتَّقُوا اللهَ وَكونُوا مَعَ الصَّادِقينَ﴾ (الأنفال ٨: ١١٩)؛ الصادقون: هم الأئمة الصّدّيقون عليهم السلام (البحراني، ب ١٤١٧هـ، ص ٨٦٤).

٥- ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعيمِ﴾ (التكاثر ١٠٢: ٨)؛ النعيم: ولاية علي بن أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام (البحراني، آ ١٤١٧هـ، ص ٧٤٦).

٦- ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهينَةٌ ❖ إلّا أصْحابَ الْيَمينِ﴾ (المدّثر ٧٤: ٣٨ - ٣٩)؛ أصحاب اليمين: نحن وشيعتنا (الحسكاني، ١٣٩٣هـ، ص ٢٩٣).

فيمكن تطبيق مثل هذه الآيات المتعددة المصاديق على أحد مصاديقها، أو على أشهرها ـ على حسب اعتقاد المفسر ـ. فالصادقين مثلاً مصاديقهم متعددة ربّما تبلغ المئات والآلاف، ولكن المفسّر يختار مصداقاً أو مصاديق منها على سبيل التطبيق والجري. ومن الممكن أن نختار نحن اليوم مصاديق أخرى من الصادقين من حياتنا المعاصرة، ونطبّق الآية عليهم.

وكذلك تأويل النعيم بولاية علي وأهل البيت عليهم السلام. فالنعيم مصاديقة متعدّدة؛ لأن كل نعمة مادية أو معنوية فهي من النعيم، وحبّ أهل البيت وولايتهم من النعم التي يتفاخر بها المسلمون إلى يومنا هذا، فهى أحد مصاديق الآية.

ومثل هذا التطبيق يوجد في تفاسير أهل السنة أيضاً، ولكن على قّلة عكس ما في تفاسير الشيعة. على سبيل المثال:

١- قال الطبري في تفسير ﴿اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقيمَ﴾ (الفاتحة ١: ٦):

**حدّثنا عبدالله بن كثير أبوصديف الآملي، قال: حدثنا هاشم بن القاسم: قال: حدثنا حمزة أبو المغيرة عن عاصم، عن أبي العالية في قوله: ﴿اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقيمَ﴾ قال: «هو رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ وصاحباه من بعده: أبوبكر وعمر». قال: «فذكرت ذلك للحسن»، فقال: «صدق أبوالعالية ونصح»** (الطبري، آ ١٤٠٨هـ، ص ٧٥).

٢- إنَّ عمر رأى في يد جابر بن عبدالله درهماً، فقال: «ما هذا الدرهم؟» قال: «أريد أن أشتري به لأهلي لحماً». فقال عمر: «أكلّما اشتهيتم شيئاً اشتريتموه؟ أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ في حَياتِكُمُ الدُّنْيا﴾؟!» (الأحقاف ٤٦: ٢٠) (الألوسي، ١٤٠٥هـ، ج٢٦، ص٢٣).

قال القاسمي في تفسيره تعليقاً على هذا التطبيق:

**إنّ الآية وإن نزلت في أهل الأصنام، فإن لأهل الإسلام فيها نظراً بالنسبة إليهم. ألا ترى أن عمر بن الخطاب قال لبعض مَن توسّع في الدنيا من أهل الإيمان: أين تذهب بكم هذه الآيةُ: ﴿أذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ في حَياتِكُمُ الدُّنْيا﴾؟! (الأحقاف ٤٦: ٢٠)، وكان هو يعتبر نفسه بها، وإنّما أنزلت في الكفار لقوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذينَ كَفَروا عَلَى النّارِ أذْهَبْتُمْ...﴾ (السابق) (القاسمي، ١٤١٥هـ، ص ٥٣).**

فهذه الآية نزلت في الكافرين، ولكن عمر طبّقها على نفسه وعلى بعض المسلمين عندما رأى انكبابهم على الدنيا وتعلّقهم بها، ولأنهم أصبحوا من مصاديقها؛ وهذا معنى الجري.

قال الطبري (ب ١٤٠٨هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا تَخُونُوا اللهَ وَتَخُونوا أنْفُسَكُمْ**﴾ (الأنفال ٨: ٢٨): «**إنها نزلت في قتل عثمان**» (ص٢٢٢).

هذا التفسير أحد الاحتمالات التي ذكرها الطبري للآية الكريمة، والطبري يعرف أن الآية نزلت قبل قتل عثمان الواقع بعد انقطاع الوحي بسنوات. إذن ما نقله ليس من التفسير أو شأن النزول في شيء، بل هو من التطبيق؛ فاعتبر الطبري قتل عثمان أحد مصاديق الخيانة.

**النتائج:**

١- هذا النوع غير مستخرج من الألفاظ ومداليلها؛

٢- يوجد في تفاسير الشيعة والسنة؛

٣- أمّا رأي علماء الفريقين فيه، فسوف أقدّمه بعد تبيين النوع الرابع من معاني الباطن.

**النوع الرابع: التفسير الباطني الموضوع**

هذا النوع الرابع من التفسير الباطني الذي وضعه الكذّابون، ونسبوه إلى الأئمة الأطهار عليهم السلام ظلماً وزوراً، أكثره يتنافى مع أصول الشريعة وحقيقة القرآن. وأكثر هذه التفاسير وربّما كلُّها وصلتنا عن طريق روايات ضعيفة موهونة لا اعتبار لها؛ كما يعتقد بعض العلماء. فيقول الأستاذ المحقّق الشيخ محمد هادي معرفة رحمه الله في بيان هذه الحقيقة:

> **من المؤسف جداً أن نجد كَثرة الوضع في التفاسير المنسوبة إلى السلف الصالح، ولاسيّما أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث وجد الكذابون من رفيع جاه آل الرسول بين الأمّة ومواضع قبولهم من الخاصة والعامّة أرضاً خصباً استثمروها لترويج أباطيلهم، وتنفيق بضائعهم المزجاة. فصاروا يضعون الأحاديث، ويختلقون لها أسانيد، يرتفعون بها إلى السلف والأئمة المرضيّين، كي تحظى بالقبول والتسليم. وفي أكثر هذه المفتريات ما يتنافى وقدسيةَ الإسلام، وتتعارض مع مبانيه الحكيمة، فضلاً عن منافرتها لدى الطبع السليم والعقل الرشيد. ولحسن الحظّ أن غالبية أسانيد هذه الروايات المفتعلة، أصبحت مقطوعة أو موهونة برجالٍ ضعاف، أو مشهورين بالوضع والاختلاق** (معرفة، ١٤٢٥هـ، ص ٤٤٤).

نذكر هنا نماذج لهذا النوع من التفسير، ثم نذكر رأي العلماء فيه وفي الكتب التفسيرية التي جمعت هذه الروايات:

١- ﴿**وَالْفَجْرِ ❖ وَلَيالٍ عَشْرٍ ❖ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ❖ وَاللَّيْلِ إِذا يَسْرِ**﴾ (الفجر ٨٩: ١-٤)؛ الفجر: هو القائم عليه السلام، وليالٍ عشر: الأئمة عليهم السلام من الحسن إلى الحسن، والشفع: أميرالمؤمنين وفاطمة عليهما السلام (البحراني، آ ١٤١٧ هـ، ص ٦٥٠).

٢- ﴿**وَالسَّماءِ وَالطّارِقِ**﴾ (الطارق ٨٦: ١)؛ السماء هو أمير المؤمنين عليه السلام (البحراني، آ ١٤١٧ هـ، ص ٦٣٠).

٣- ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ**﴾ (التكوير ٨١: ١٥)؛ الخنّس: إمام يخنِس في زمانه ... ثم يبدو كالشهاب الثاقب (البحراني، آ ١٤١٧ هـ، ص ٥٩٥).

٤- ﴿**عَمَّ يَتَساءَلونَ ❖ عَنِ النَّبَإِ الْعَظيمِ**﴾ (النبأ ٧٨: ١)؛ قال: النبأ العظيم: الولاية (البحراني، آ ١٤١٧ هـ، ص ٥٦٤).

هذه أمثلة من التفسير الباطني المصنوع الذي نسبه الكذّابون إلى الأئمة الأطهار عليهم السلام، وأخذ العلماء المعاصرون من الشيعة يردون على مثل هذه التفاسير الباطنية التي تتلاعب بالقرآن وتبعده عن مقاصده النبيلة. فمن هؤلاء العلماء الدكتور محمدكاظم شاكر. فأفاد الدكتور مفصّلاً في نقده لهذا النوع من التفسير الباطني، وانتبه لفساد أكثر هذه الروايات التي اعتمد عليها هذا النوع،

وأخذ يدرس نصوصها وأسانيدها؛ فوجد أكثرها فاسدة، إمّا نصاً، أو سنداً، أو نصاً وسنداً معاً؛ ومن شاء، فليراجع كتابه *روش‌های تأویل قرآن* (مناهج تأويل القرآن).

ونلخّص ما قاله في أسطر:

يبدو لي أنّ بعضهم تعمّد في مثل هذه التفاسير لهدم أصول الشريعة، فلهذا فسّروا آيات القيامة والآخرة والحشر والنشر والبعث بأحد الأئمة؛ كما قالوا في ﴿**وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقى**﴾ (الأعلى ٨٧: ١٧) المراد من الآخرة الإمام علي عليه السلام. راوي هذا الحديث المفضّل بن عمر، وهو من الغلاة، وفي سندها محمد بن سنان ومعلّى بن محمد والاثنان من الضعفاء، والأول من الغلاة.

كما قالوا في تفسير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، المراد من المعروف الإمام علي عليه السلام، والمراد من المنكر الشيخان اللذان ظلماه. وفي سند هذا الحديث محمد بن عامر وهو مهمل.

أمّا نصوص هذه الروايات ومضامينها، فلا تثبت للنقد، ولا يخفى ما فيها من ضعف وابتعاد عن روح الشريعة، بل فيها إساءات لأهل البيت عليهم السلام؛ كما رأينا في تفسيرهم لـ﴿**ناراً تَلَظّى**﴾ (الليل ٩٢: ١٤) أن المراد منها قائم آل محمد عجل الله فرجه. ثم يقول الراوي: سوف يقتل من كل ألف ٩٩٩ شخصاً. فكيف يقتل الإمام هؤلاء، وهو رحمة للعالمين؟! وإذا افترضنا أنّ سكانَ العالم عند ظهور الإمام عليه السلام عشرة مليارات، فلم يبق منهم إلا عشرة ملايين، وأمّا الآخرون، فسوف ينحرهم قائم آل محمد!! (شاكر، ١٤٢٤هـ، ص ١٧٨ـ١٨٠).

هذا موجز ما قاله الدكتور في نقده لهذه الروايات، ومن شاء كلامه مفصّلاً، فليراجع ص ١٦٩ وما بعدها.

وكذلك الشيخ الأستاذ معرفة قدس سره يقول: فُسّرت كلمات بأشياءَ أو بأشخاص لا مناسبةَ بينهما. ثم ذكر الأمثلة التالية:

١- ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعوضَةً فَما فَوْقَها**﴾ (البقرة ٢: ٢٦)؛ البعوضة أميرالمؤمنين عليه السلام (القمي، آ ١٤٠٤هـ، ص ٣٥).

٢- ﴿**بَلْ كَذَّبوا بِالسّاعَةِ**﴾ (الفرقان ٢٥: ١١)؛ أي: بعلي عليه السلام (القمي، ب ١٤٠٤هـ، ص١١٢).

٣- ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ**﴾ (الرحمن ٥٥: ١٧)؛ المشرقين رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، والمغربين الحسن والحسين عليهما السلام (القمي، ب ١٤٠٤هـ، ص٣٤٤).

٤- ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ**﴾ (الرحمن ٥٥: ٣١)؛ البحرين علي وفاطمة عليهما السلام والبرزخ رسول الله صلى الله عليه وآله (القمي، ب ١٤٠٤هـ، ص ٣٤٤).

٥- ﴿**سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ**﴾ (الرحمن ٥٥: ٣١)؛ الثقلان: العترة والكتاب (القمي، ب ١٤٠٤هـ، ص ٣٤٥).

(معرفة، ١٤٢٥هـ، ص ٤٤٥)

والحق أن هذا النوع من التفسير الباطني لا مناسبة بينه وبين آيات القرآن، كما قال الشيخ معرفة رحمه الله، ويجب الابتعاد عنه، وتنزيه كتاب الله الكريم منه، وتطهير ساحة الأئمة المقدسة من هذه التفاسير المكذوبة. فأهل البيت عليهم السلام أعرف الناس بكتاب الله، فلا يحمّلون الوحي الذي نزل على جدّهم مثل هذه التفاسير الضعيفة.

فمثل هذه التفاسير تلاعبٌ بألفاظ القرآن، وابتعاد عن مقاصد الآيات. وما أدري هؤلاء الغلاة ماذا أرادوا بتطبيقهم ألفاظ القرآن على الأئمة الأطهار؟ هل أرادوا أن يزيدوهم شرفاً بقولهم: إنّ المراد من **الْبَحْرَيْنِ** مثلاً أميرالمؤمنين وفاطمة عليهما السلام، والمراد من **اللُّؤْلُؤِ وَالْمَرْجانِ** الإمام الحسن والحسين عليهما السلام؟ أنا أعتقد ـ ولا أظنّ مسلماً يخالفني في اعتقادي هذا ـ أنّ أميرالمؤمنين علي بن

أبي طالب والسيدة فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أشرف وأعظم مِن السماء والأرض. وما أجمل قولَ الألوسي ـ مفسر أهل السنة ـ في هذا المعنى:

**ومن غريب التفسير ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قال: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ: علي وفاطمة... وَبَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ: النبي. يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجانِ: الحسن والحسين رضي الله عنهما، والذي أراه أنّ هذا إن صحّ، ليس من التفسير في شيء، بل هو تأويل كتأويل المتصوفة لكثير من الآيات. وكلٌّ من علي وفاطمة رضي الله عنهما عندي أعظم من البحر المحيط علماً وفضلاً، وكذا كلٌّ من الحسنين رضي الله عنهما أبهى وأبهج من اللؤلؤ والمرجان بمراتبَ جاوزتْ حدّ الحُسبان** (الألوسي، ١٤٠٥هـ، ص ١٠٧).

بناءً على هذا، إنّ التفاسير الروائية الموجودة التي حوت هذه الروايات الضعيفة، لا يجوز الاعتماد على أكثرها، ولهذا أفاد شيخنا الكبير الأستاذ معرفة رحمه الله حيث يقول:

**إن الجوامع الحديثية التي حوت على أمثال هكذا تفاسير مأثورة نقلاً عن الأئمة، لم تكد تصحّ منها إلا القليل النادر. فمثل تفسير العياشي حذفت أسانيده، وأسقط عن الحجية والاعتبار.**

**والتفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، فزعموا أنّه من إملاء الإمام الحسن بن علي العسكري على أبي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد وأبي الحسن علي بن سيّار، والراوى عنهما أبو الحسن محمد بن القاسم الخطيب غير أن الشخصين الأولين مجهولان، والراوي عنهما أيضاً مجهول. فهنا ثلاثةُ مجاهيلَ حفّوا بهذا التفسير المبتور.**

**وكذلك تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني، ونور الثقلين لعبد علي بن جمعة الحويزي، فجمعا المأثور من أحاديث أهل البيت الواردة في التفسير، غير أن هذه الروايات مما لا يوزن بالاعتبار، حيث ضعف إسنادها، أو إرسالها، أو مخالفة مضامينها مع أصول العقيدة، أو مباني الشريعة، فضلاً عن مخالفة العلم أو العقل الرشيد، الأمر الذي يوهن صدور مثلها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ إذ يجب تنزيه ساحتهم عن صدور مثل هذه الأخبار الضِّعاف** (معرفة، ١٤٢٥هـ، ص ٤٤٦-٤٤٧).

هذا موجز مما قاله الشيخ الأستاذ، ومن أراد كلامه مفصلاً، فليراجع المجلد الأول، ص ٤٤٤ إلى ٤٥١.

### موقف الأئمة من الوضّاعين

كاد لايشك العلماء بأنّ هذه الروايات الضعيفة مِن وضع الغلاة الذين لا يمتّون إلى الشيعة الاثني عشري بصلة أبداً، بل لاينتمون إلى الإسلام؛ فلهذا وقف الشيعة وأئمتهم عليهم السلام من الغلاة قديماً وحديثاً موقفَ المحارب.

وليس من الممكن أن نؤرّخ للغلاة وعقائدهم، وموقف الأئمة منهم بتفصيل؛ لأن هذا البحث يُطلب في موضعه، ولكن نريد هنا أن نبيّن باختصار موقف الأئمة عليهم السلام وشيعتهم الاثني عشري منهم، حتى لاينسبهم أحدٌ إلى الشيعة ظلماً وزوراً، ولايحسبَهم علينا.

كتب علماء الشيعة ردوداً قاطعة على الغلاة، حتى عدّ صاحب *الذريعة* خمسة عشر كتاباً من تلك الكتب؛ منها:

١- *الرد على الغالية وأبي الخطاب*، تأليف أبي إسحاق الكاتب؛

٢- *الرد على الغالية*، تأليف الحسن بن علي بن فضال الكوفي؛

٣- *الرد على الغالية*، تأليف الفضل بن شاذان؛

٤- *الرد على الغلاة* لأبي الحسين العقراني؛

٥ - *الرد على الغلاة* لأبي سهل إسماعيل بن علي؛

٦ - *الرد على الغلاة* لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي (الطهراني، ١٩٥٦م، ص ٢١١ ـ ٢١٤).

هذا ما عدا كتبَ الشيعة التي ذكرت الغلاة في فصول لها وردّ عليهم.

وأمّا العلماء المعاصرون، فلهم آثار عديدة قد استوفوا فيها الغلاة، وعقائدهم وتاريخهم، وموقف الأئمة من هذه الفرقة الضالة. من هذه الكتب:

١- *الجذور التاريخية والنفسية للغلو والغلاة* لسامي الغريري؛

٢- *هوية التشّيع* للمرحوم الدكتور الشيخ أحمد الوائلي؛

٣- *آراء أئمة الشيعة في الغلاة* للشيخ ميرزا خليل كَمَرِئي.

كما كتبت كتب بالفارسية مثل:

١- *غاليان، كاوشى در جريانها و برآيندها* (الغلاة، دراسة في الاتجاهات والنتائج) لنعمة الله صفري فروشاني؛

٢- *غلو* للمرحوم صالحي نجف آبادي.

وهناك رسائل جامعية كتبت للتعريف بالغلاة والكشف عن زيف هذه الفرقة الضالة؛ مثل رسالة الدكتور عبدالحميد گلشنى إبراهيمي أستاذ جامعة طهران.

وهذا الموقف الحاسم من الشيعة تجاه الغلاة لم يأت إلا تأسّياً بأئمتهم الأطهار عليهم السلام. فكان موقف الأئمة عليهم السلام موقفاً رادعاً حاسماً غاضباً. فمن كفريّات هؤلاء الغلاة هو التلاعب بآيات القرآن، وتطبيقها على الأئمة بلا دليل وبلا مناسبة، بل بعضها كفرٌ بالله، حيث أدّى إلى غضب الأئمة وتكفيرهم الغلاةَ.

تبيّن الحكاية التالية خطر الغلاة على الأمة الإسلامية وموقف الأئمة الأطهار عليهم السلام منهم.

كان أبوالخطاب ـ وهو من الغلاة ـ يقول في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذي في السَّماءِ إِلهٌ وَفي الْأَرضِ إِلهٌ**﴾ (الزخرف ٤٣: ٨٤) كان يقول: المراد من إله الأرض الإمام. يقول المجلسي في كتابه *البحار*: عندما سمع الإمام الصادق عليه السلام هذا التطبيقَ من أبي الخطاب، قال: «**لا والله! لا يأوينى وإيّاه سقفُ بيت أبداً. هم شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا. واللهِ ما صغّر عظمةَ اللهِ تصغيرُهم شيءٌ قَطُّ**». (المجلسي، آ ١٩٨٣م، ص ٢٩٤).

وكان الأئمة عليهم السلام يمنعون شيعتهم من مجالَسة الغلاة. فهذا الإمام الصادق عليه السلام ينصح المفضل: «**يا مفضّلُ، لا تُقاعِدوهم [الغلاة]، ولا تُشاربوهم، ولا تُصافحوهم، ولا تُوارثوهم**» (المجلسي، آ ١٩٨٣م، ص ٢٩٦).

يقول العلامّة المجلسي: إنّ قول الإمام عليه السلام «لا توارثوهم»؛ لأن الغلاة مشركون لا إيمان لهم؛ فلهذا يُمنعون من الإرث.

ثم يذكر المجلسي اعتقاد الشيخ الصدوق رحمه الله في تكفير الغلاة:

«**اعتقادنا (اعتقاد الشيعة) في الغلاة أنهم كفّار بالله، وأنهم شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية، ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلّة**»...(المجلسي، آ ١٩٨٣م، ص ٣٤٢).

هذا اعتقاد الشيعة وأئمتهم في تكفير الغلاة، ومن ثمّ لا يجوز لأحدٍ أن يحسب الغلاة على الشيعة الاثني عشري. فلا أنسى عندما كنت أشاهد مناظرةً بين الشيعة والسنة ـ في قناه «المستقلة» الفضائية ـ، فكان الأخ السنّي يتهم الشيعة بأنهم مشركون؛ لأنهم يقولون في الآية الكريمة: ﴿**وَهُوَ فِي الْأَرْضِ إِلهٌ**﴾، المراد من «إله الأرض» الإمام.

والعجيب أن هذا الباحث كان ينسب هذا القول إلى العلامة المجلسي في *البحار*، ولكنّي لّما راجعته، وجدت المجلسي رحمه الله نقل هذا التفسير، ثم كفّر قائلَه.

وجاء كلام المجلسي هذا في فصل استغرق تسعين صفحة عنوانه: «نفي الغلوّ في النبي والأئمة»، وذكر هناك عشرات الروايات من الأئمة عليهم السلام وعلماء الشيعة في تكفير الغلاة، ولكن لا أدري لماذا غابت هذه الروايات كلها على هذا الباحث السني، وأخذ يكفّر الشيعة بلادليل؟!

ولا أشك أنّ هذا التكفير لم يأت إلا تعامياً، أو لعدم التمييز بين الشيعة الاثني عشري والغلاة.

**الفرق بين النوعين الثالث والرابع:**

ربّما يتداخل النوعان الثالث والرابع، وكاد بعض العلماء لا يميز بينهما، ولكن هناك فرقاً جوهرياً بين النوعين: فالنوع الثالث (الجري) صفة أو صفات في الآية متعددة المصاديق يطبّقها المفسر على أحد مصاديقها. على سبيل المثال: ﴿**مِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ**﴾ (البقرة ٢: ٢٠٤). هذه صفات تنطبق على كثير من الناس، والمفسر يطبّقها على أحد مصاديقها.

أمّا ما جاء في النوع الرابع بأن المراد من السماء مثلاً أمير المؤمنين عليه السلام، أو المراد من التين والزيتون الحسن والحسين عليهما السلام، فليس من التطبيق في شيء؛ لأنه لا علاقة بين الآية وبين هذه التطبيقات؛ كما قال الشيخ معرفة.

وكما قلت، إنّ بعض العلماء لم يميز بين النوع الثالث (الجري) وبين هذا النوع الباطل من التفسير الباطني. فمن هؤلاء الذين خلطوا بين النوعين ولم يميزوا بينهما، الذهبي وفهد بن عبدالرحمن. فأخذا يهاجمان الشيعة نتيجةً لهذا الخلط. وهنا ننقل ما قالا، ثم نقول رأينا فيه.

قال الذهبي (١٤٢٥هـ):

> **ومما ساغ لهم (للشيعة) أن يقولوه بعد تقريرهم لمبدإ القول بالباطن، أن تأويل الآيات القرآنية لا يجري على أهل زمان واحد، بل عندهم أن كل فقرة من فقرات القرآن لها تأويل يجري في كل آنٍ، وعلى أهل كل زمان. فمعاني القرآن على هذا متجدّدة حسب تجدّد الأزمنة وما يكون فيها من حوادث، بل وساغ لهم ما هو أكثر من ذلك، فقالوا: إن الآية الواحدة لها تأويلات كثيرة مختلفة متناقضة. وقالوا: إن الآية الواحدة يجوز أن يكون أولها في شيء وآخرها في شيء آخر. ولا شك أن باب التأويل الباطني باب واسع يمكن لكل من ولجه أن يصل منه إلى كل ما يدول بخَلَده ويَجيش بخاطره.**
>
> **ليس لقائل أن يقول: إن رسول الله صرّح بأن للقرآن باطناً، وإن المفسرين جميعاً يعترفون بذلك ويقولون به، فكيف تُوجِّه اللّوم إلى الإمامية وحدهم؟ ليس لقائل أن يقول ذلك؛ لأن الباطن الذي أشار إليه الحديث وقال به جمهور المفسرين هو عبارة عن التأويل الذي يحتمله اللفظ القرآني، ويمكن أن يكون من مدلولاته، أما الباطن الذي يقول به الشيعة، فشيء يتفق مع أذواقهم ومشاربهم، وليس في اللفظ القرآني الكريم ما يدل عليه، ولو بالإشارة** (ص ٢٣ ـ ٢٤).

ووقع في مثل هذا الخلط والارتباك الدكتور فهد بن عبدالرحمن، حيث خلط بين الجري الوارد في كتب السنة وبين ما جاء منه في كتب الشيعة، ولم يميز بينهما. فقال بعد نقله مجموعة من تفاسير الجري:

«**بقي أن أقول: إنّ هذه السفسطة لم ترد في مؤلَّف مستور، بل في أحد مؤلفاتهم الحديثة المنشورة والموجهة لأهل السنّة لإقناعهم بمذهب الشيعة... ولا شك أن هذا من الإلحاد في آيات الله سبحانه**» (فهد بن عبدالرحمن، ١٤٢٣هـ، ص ٢٢١ و ٢٢٦).

هذا ما قاله الذهبي وفهد بن عبدالرحمن؛ ومما يؤخذ عليهما:

أولاً: هناك فرق بين الشيعة الاثني عشري وبين الغلاة من الشيعة الذين ظهروا في التاريخ في ظروف سياسية خاصة، ثم بادوا ـ والحمد لله ـ. أمّا الشيعة الاثنا عشري في يومنا هذا، فلايعتبرون الغلاة على مذهبهم، بل يكفّرونهم بصراحة؛ كما كفّرهم الأئمة الأطهار عليهم السلام، وأعلنوا برائتهم من هذه الفئة الكاذبة الكافرة ـ كما مرّ ـ. فكان على الذهبي وفهد بن عبدالرحمن أن يفرّقا بين الشيعة وبين الغلاة الذين نسبوا أنفسهم إلى الأئمة ظلماً وزوراً. فلا علاقة للشيعة الاثني عشري بهم إطلاقاً.

ثانياً: إنهما خلطا بين النوعين الثالث (التطبيق) والرابع، وجعلاهما في ميزانٍ واحد؛ كما رأينا في كلام الذهبي الذي مرّ آنفاً. فبدأ بنقل النوع الثالث ـ من تفاسير الشيعة ـ ثم مزجه بالنوع الرابع، ثم أخذ ينتقد الشيعة؛ وهذا ارتباك منه.

والحقّ أنّ هناك فرقاً بينهما، وكفاهم دليلاً بما أقول أنّ المفسرين من أهل السنة أيضاً سلكوا منهج الجري في تفاسيرهم؛ كما رأيت في الأمثلة التي نقلناها في النوع الثالث.

وهذا ابن كثير ـ وهو من فحول المفسّرين لإخواننا السنة ـ نقل عن محمد بن كعب القرظي:

**وحدّثني محمد بن أبي معشر نجيح قال: سمعت سعيداً المقابري يذاكر محمد بن كعب القرظي. فقال سعيد: إن في بعض الكتب: إن عباداً ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرّ من الصبر. لبسوا للناس مُسوك الضأن من اللين، يجترّون الدنيا بالدين. قال الله تعالي: علي تجترئون وبي تغترّون؟! وعزتي! لأبعثنّ عليهم فتنة تترك الحليم منهم حيران. فقال محمد بن كعب: هذا في كتاب الله. فقال سعيد: أين هو من كتاب الله؟ قال: قول الله: ﴿مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا﴾ الآية. فقال سعيد: عرفت فيمن أنزل هذه الآية. فقال محمد بن كعب: إنّ الآية تنزل في الرجل، ثم تكون عامةً بعدُ. [ثم قال ابن كثير:] وهذا الذي قاله القرظي حسنٌ صحيح** (ابن كثير، ١٤١٨هـ، ص ٣٣٣).

وهذا القول من القرظي: «إنّ الآية تنزل في الرجل، ثم تكون عامةً» هو معنى الجري الذي قال به الشيعة. فلماذا ينتقد الذهبي وغيره الشيعة في استخدامهم الجري؟! ولو أننا نعترف أن بعض الشيعة توسع فيه، وخلط الحابل بالنابل ـ كما خلط غيرهم ـ وهذا حق والحقّ يقال.

ثالثاً: إنهم في كثير من آرائهم اعتمدوا على كتب أصبحت مكشوفةً مزوَّرةً عند الشيعة أنفسهم.

وإذا قال قائل منهم: لماذا أدخل علماء الشيعة مثل هذه الروايات الضعيفة في تفاسيرهم القديمة والحديثة؟ نقول: إن الروايات الضعيفة موجودة في التراث الإسلامي كله؛ شيعياً كان أم سنّياً، فواجبنا اليوم تنقيح هذا التراث من هذه الأخبار الضعيفة، لا أن نقوم بتكفير مَن نقلها؛ كما كفّر فهد بن عبدالرحمن الشيعةَ لنقلهم هذه الروايات!

ولواعتبرنا كل من يتناقل الروايات الضعيفة كافراً، فلا نجد مؤمناً بين كتّابنا المسلمين. فهذا الطبري ـ المفسر الجليل لأهل السنة ـ ينقل الإسرائيليات في تفسيره؛ كنقله قصة الغرانيق وأمثالها. فهل نكفّره؟ وهذا ابن كثير، نقل كثيراً من الروايات المكذوبة في تفسيره، فهل نكفّره ونعتبره ملحداً؟

وكذلك اعتمد سيد قطب رحمه الله في تفسيره على الأحاديث الضعيفة التي نقلها ابن كثير. فماذا نفعل حيال هذه الروايات المأثورة الضعيفة؟ هل الأفضل أن ننقّح تراثنا منها، أم نقوم بتكفير هذا وذاك، ونكيل إليه الاتهام، ونُخرجه من دائرة الإسلام؟! فإن اختار الذهبي وأمثاله طريقة التكفير ـ لأنها أسهل الطرق ـ فنحن وكلّ مؤمن صادق بإيمانه لا نختارها، بل نقول: ما يجب على علماء الفريقين اليوم أن يشمّروا ساعدهم، وينقّحوا هذا التراث الإسلامي، ويطهّروه من هذه الروايات الضعيفة المنسوبة كذباً إلى رسول الله وأهل بيته والسلف الصالح عليهم السلام.

❖❖❖

## المصادر والمراجع

### أ) العربية


- **القرآن الكريم**.
- ***نهج البلاغة***. (١٣٦٥هـ ش). (مع ترجمة سيدعلينقي فيض الإسلام إلى الفارسية). قم: هجرت.

١. ابن عبدالرحمن، فهد. (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م). ***اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر***. (ج ١). (ط٤). الرياض: مكتبة الرشد.

٢. ابن كثير، إسماعيل. (١٤١٨هـ ـ/١٩٩٨م). ***تفسير القرآن العظيم***. (ج١). (ط٢). عمان: دار الفيحاء.

٣. الألوسي، محمود. (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م). ***روح المعاني***. (ج٢٧). (ط٤). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤. البحراني، سيدهاشم. (آ ١٤١٧هـ). ***البرهان في تفسير القرآن***. (ج ٥). (ط١). قم : مؤسسة البعثة.

٥. ـــــــــــــــ. (ب ١٤١٧هـ). ***البرهان في تفسير القرآن***. (ج ٦). (ط١). قم: مؤسسة البعثة.

٦. الحسكاني، عبيدالله بن عبدالله. (١٣٩٣هـ). ***شواهد التنزيل***. (ج٢). (ط١). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٧. الحسيني، سيدمحمد. (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م). ***السيد محمد حسين فضل الله مفسّراً***. (ط١). بيروت: دارالملاك.

٨. الذهبي، محمدحسين. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م). ***التفسير والمفسرون***. (ج٢). (ط١). طهران: آوند دانش.

٩. الطباطبائي، سيدمحمدحسين. (آ ١٤٢١هـ). ***الميزان في تفسير القرآن***. (ج ١). قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

١٠. ـــــــــــــــ. (ب ١٤٢١هـ). ***الميزان في تفسير القرآن***. (ج ٤). قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

١١. الطبرسي، الفضل بن الحسن. (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٦م). ***مجمع البيان في تفسير القرآن***. (تصحيح سيدهاشم رسولي محلاتي). (ج ١). (ط١). بيروت: دارالمعرفة.

١٢. الطبري، محمد بن جرير. (آ ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م). ***جامع البيان في تأويل آي القرآن***. (ج ١). بيروت: دارالفكر.

١٣. ـــــــــــــــ. (ب ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م). ***جامع البيان في تأويل آي القرآن***. (ج ٦). بيروت: دارالفكر.

١٤. الطهراني (آغابزرگ)، محمدمحسن. (١٩٥٦م). ***الذريعة إلى تصانيف الشيعة***. (ج ١٠). تهران: چاپخانه مجلس.

١٥. العياشي، محمد بن مسعود. (١٣٨٠هـ). ***التفسير***. (ج ١). قم: المطبعة العلمية.

١٦. القاسمي، محمد جمال الدين. (د. ت). ***محاسن التأويل*** المسمى بـ***تفسير القاسمي***. (تصحيح محمد فؤاد عبدالباقي). (ج ١). (ط١). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية .

١٧. القمي، علي بن إبراهيم. (آ ١٤٠٤هـ ). ***تفسير القمي***. (ج ١). (ط٣). قم: مؤسسة دارالكتاب.

١٨. ـــــــــــــــ. (ب ١٤٠٤هـ ). ***تفسير القمي***. (ج ٢). (ط٣). قم: مؤسسة دارالكتاب.

١٩. المجلسي، محمدباقر. (آ ١٩٨٣م). ***بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار***. (ج٢٥). (ط٣). بيروت : دار إحياء التراث العربي.

٢٠. ـــــــــــــــ. (ب ١٩٨٣م). ***بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار***. (ج٧١). (ط٣). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢١. المظفر، محمدرضا. (١٤٢٢هـ). ***أصول الفقه***. (ج ١). (ط٣). قم: منشورات الفيروزآبادي.

٢٢. معرفة، محمدهادي. (١٤٢٦هـ). ***التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب***. (ج١). (ط٢). مشهد: الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية.


### ب) الفارسية


٢٣. شاكر، محمدكاظم. (١٣٧٥). ***روش های تأويل قرآن*** (مناهج تأويل القرآن). (ط٢). قم: مؤسسة بوستان كتاب.